قصيدة في

آداب الطريق

للقطبإمام الشيخ أبو مدين شعيب الغوث (ت 509 هـ)

مع التخميس للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي محمد بن علي الحاتمي الطائي

(ت 638 هـ)

البحر: البسيط

1 يَا طالِباً مِن لذاذاتِ الدُّنا وَطَرَا * إذا أردتَّ جميع الخير فيكَ يُرى

المُستشارُ أمينٌ فاسمَع الخبرا * **مالَذَّةُ العَيشِ إلا صُحبة الفُقرا**

هم السَّلاطِينُ والسَّاداتُ والأمَرا

2 قومٌ رَضُوا بيسِيرٍ مِن مَلابسِهم * والقوتِ لا تخطر الدنيا بهاجِسِهم

صُدورهُم خالِياتٍ مِن وسَاوِسهم * **فاصْحبهُموا وتأدَّبْ في مَجالِسِهم**

وخَلِّ حَظكَ مهْمَا قدَّمُوكَ وَرَا

3 اسْلُك طريقهموا إنْ كُنتَ تابِعهُم * واترُك دعَاويكَ واحْذَرْ أن تراجعهم
فِيما يُريدونه واقصُد منافِعهُم * واستغنِم الوقتَ واحضُر دائماً معهم
هم السَّلاطِينُ والسَّاداتُ والأمَرا

4 كنْ راضِياً بهِمُوا تسْمُ بهم وتصِلْ * إن أثبتوكَ أقِمْ أو إنْ مَحَوكَ فزُل
وإنْ أجاعوكَ جُعْ و إنْ أطعَموك فكُلْ * ولازِمِ الصَّمتَ إلا إن سُئِلتَ فقلْ
لا عِلمَ عِندي وكنْ بالجَهل مَستتِرا

5 ولا تكن لعيوبِ الناس مُنتقِدا * وإن يَكن ظاهِرا بين الوجود بدا
وانظرْ بعَينِ كَمالٍ لا تعِبْ أحَدا * ولا ترَ العَيبَ إلا فيكَ مُعتقِدا
عَيباً بدا بيناً لكنه اسْتترا

6 تنلْ بذلِكَ ما ترجُوه من أدبٍ * والنفسُ ذَلِّلْ لهم ذلاً بلا ريب
بلْ كلُّ ذلك ذُلٌّ نابَ عن أدبٍ * وحُطَّ رَأسكَ واستغفِر بلا سبب
وقمْ على قدَمِ الإنصَافِ مُعتذِرا

7 إن شئتَ منهم بريْقاً للطريق تشمْ * عن كلِّ ما يَكرهوهُ مِن فِعالكَ ذُم
والنفسُ منكَ على حُسنِ الفِعالِ أدِم * وإنْ بَدا منكَ عَيبٌ فاعترفْ وأقِمْ
وَجْهَ اعتذاركَ عمَّا فيكَ مِنكَ جَرى

8 لهُم تملقْ وقلْ داوُوُ بصُلحِكُموا * بمرْهَمِ العَفوِ مِنكمْ داء جرحِكمُوا
أنا المُسيءُ هِبُوا لي مَحضَ نِصْحِكمُوا * وقلْ عُبيدكمُوا أولى بصَفحِكمُوا
فسَامِحُوا وخذوا بالرِّفقِ يا فقرا

9 لا تخشَ مِنهم إذا أذنَبتَ هِمَّتهُم * أسنى وأعظَمُ أن تردِيكَ عِشرَتهُم
ليسوا جَبَابرة تؤذِيكَ سَطوَتهُم * هُم بالتفضلِ أولى وهو شِيمَتهُم
فلا تخفْ دَرَكاً مِنهم ولا ضَرَرا

10 إذا أردتَّ بهم تسْلُكْ طَريقَ هُدى * كنْ في الذي يَطلبُوه مِنكَ مُجتهِدا
في نور يومِكَ واحذَرْ أن تقول غداً * وبالتغنِّي عَلى الإخوان جُدْ أبدا
حِساً ومَعنىً وغضَّ الطَّرفَ إن عَثرَا

11 أصدِقهُم الحَق لا تسْتعمِل الدنَسَا * لأنهم أهْلُ صِدقٍ سادَةٌ رُؤَسَا

واسمَح لِكلِّ امْرئٍ مِنهم إليكَ أسَا * ورَاقِبِ الشيخَ فِي أحوالِهِ فعَسى

يرى عَليكَ مِن استِحْسَانِهِ أثرَا

12 وأسْألهُ دَعوَتهُ تحْظَ بدَعوَتِهِ * تنَلْ بذَلكَ مَا ترجُوا ببَركَتِهِ

وحسِّنْ الظنَّ واعْرفْ حَقَّ حرمَتِهِ * وقدِّمِ الجِّدَّ وانهَضْ عندَ خِدْمَتِهِ

عَسَاهُ يَرضَى وَحَاذِرْ أن تكنْ ضَجِرا

13 واحْفظْ وصِيتهُ زِدْ مِن رِعَايَتِهِ * ولبِّهِ إنْ دَعَا فوراً لِسَاعَتِهِ

وغضَّ صَوتكَ بالنجْوى لِطاعَتِهِ * ففِي رضاهُ رِضَا الباري وطَاعَتِهِ

يَرضَى عليكَ فكنْ مِن تركِهَا حَذِرَا

14 والزَمْ بمَنْ نفسُهُ نفْسٌ مُسَايسَة * في ذا الزَّمانِ فإنَّ النفسَ آيسة

منهُم وحِرفتهُم في الناسِ باخِسَة * واعلم بأنَّ طريقَ القومِ دَارسَة

وحَالُ مَنْ يدَّعِيهَا اليومَ كيف ترَى

15 يَحِقُّ لي إنْ نَأوْا عَني لأُلفتِهِم * ألازمُ الحزنَ ممَّا بي لِفرقَتهم
على انقِطاعي عنهُم بَعدَ صُحبتِهِم * مَتى أراهم وأنى لِي برُؤيتهم
أو تسمَعُ الأذُنُ مِني عنهُم خبَرَا

16 تخلفِي مانِعِي مِن أنْ ألائِمهُم * منهُم أتيتُ فلُمنِي لسْتُ لائِمهم
يا ربِّ هَبْ لي صلاحاً كي أنَادِمُهم * ومَن لِي وأنى لِمثلي أن يزاحِمهم
على موارِدِ لمْ آلفْ بها كدَرا

17 جَلَّتْ عن الوصْفِ أن تحصَى مآثِرهُم * على البواطِنِ قدْ دَلتْ ظواهِرهُم
بطَاعةِ اللهِ في الدنيا مفاخرهُم * أحِبهم وأُداريهِم وأوثرهم
بمُهجَتي وخصُوصاً مِنهمْ نفرَا

18 قومٌ على الخلقِ بالطَّاعاتِ قدْ رُؤِسُوا * منهُم جَلِيسهُم الآدابَ يَقتَبسُ
ومَن تخلَّفَ عنهُم حظَّهُ التعِسُ * قومٌ كرامُ السَّجايَا حَيثمَا جَلسُوا
يبقى المكانُ على آثارِهِم عَطِرا

19 فهم بهِم لا تفارِقهُم وَزِدْ شَغَفا * وإن تخلَّفتَ عنهُم فانتحِب أسَفا
عصابةٌ بهم يُكسى الفتى شرَفَا * يهدِي التصَوفُ مِن أخلاقِهِم طرَفا
حُسْنُ التآلُفِ منهُم رَاقني نظرا

20 جَرَرتُ بهِم ذَيلُ افتِخَاري فِي الهَوى بهِمُوا * لما رضُوني عُبَيداً فِي الهَوى لَهموا
وحققهم في هواهم لستُ أنسهم * هُم أهلُ وُدِّي وأحبابي الذينَ همُ
مِمنْ يَجرُّ ذُيول العِز مُفتخرا

21 قطَعتُ فِي النظمِ قلبِي فِي الهَوى قطعا * وقد توسلتُ للمَولى بهم طَمعا
أن يغفِرَ اللّٰه لِي والمسلمين معا * لا زالَ شَمْلي بهم في اللّٰه مُجتمِعا
وذنبُنا فيهِ مغفورا ومغتفرا

22 يا كلَّ مَن ضَمَّه النادِي بمَجلِسنا * أدعُ الإله بهِم يمحو الذنوبَ لنا
وادعُ لِمنْ خَمسَ الأصْلَ الذي حَسُنا * ثمَّ الصَّلاةُ على المُختارِ سَيدِنا
مُحَمدِ خيرُ مَن أوفى ومَن نذرَا